الفصل الثانى

أنبياء القرون الأولى

- نوح .
- إبراهيم .

*

﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي العَالَمِينَ ﴾ (الصافات : ٧٩)

﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيَعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾ (الصافات : ٨٣)

*

نوح

هو أبو البَشرية الثانى ، الذى حمل فى فُلْكه بذور الحياة فأنقذها بأمر الله من الطوفان . وتقول التوراة - أسفار موسى الخمسة التى تتصدر العهد القديم: « كان بنو نوح الذين خرجوا من الفُلْك ساماً وحاماً ويافثاً . وحام هو أبو كنعان ... ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض .

وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كَرْماً ، **وشرب من الخمر فسكر وتعرّى داخل خبائه ، فأبصر حام أبو كنعان عَورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً .** فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما . **فلما استيقظ نوح من خمره ، عَلِمَ ما فعل به ابنه الصغير ، فقال : ملعون كنعان . عبد العبيد يكون لإخوته** . وقال : مبارك الرب إله سام ، وليكن كنعان عبداً لهم . ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام ، **وليكن كنعان عبداً له** » .

(تكوين ٩ : ١٨ - ٢٧)

من الواضح أن هذه أول بذرة لما يُعرف بـ « **السامية** » باعتبارها عِرقاً جنسياً يتعالى عن بقية البَشر ، ولو كانوا إخوة « أبناء أب واحد » . وإذا كان علماء اليوم على إدراك تام بأن الحديث عن السامية لا يعنى مدلولاً عِرقياً ، وإنما يمكن أن يعطى مفهوماً لُغوياً بمعنى أن الشعوب التى عاشت فى منطقة الشرق الأوسط تكلمت لغات بينها أواصر قربى ، وتُعرف بمجموعة اللُّغات السامية . وهذه تنقسم إلى عدة أُسر هى :

أُسرة اللُّغات الأكادية والبابلية والآشورية ، وأُسرة اللُّغات الكنعانية ، وأُسرة اللُّغات العربية ، وأُسرة اللُّغات الحبشية .

وثمة تساؤل يلح عن الظلم الفادح الذى أصاب كنعان بسبب تصرف نُسِبَ إلى أبيه حام ، إذ من الواضح أن كنعان برىء تماماً من كل خطية تُورِثه اللَّعنة

والعبودية أو حتى ما هو أقل منهما بمراحل كاللوم والتقريع . وإذا كان هناك من يُدان فهو بلا شك شخص آخر غير كنعان وأبيه حام .

ومن المحزن حقاً أن يكون قصص الكتاب المقدس مصدر إلهام للمبشرين بالتفرقة العنصرية وسنداً قويا يحتجون به . فلقد أصدرت مجلة « **لايف** » [١] عدداً خاصاً عن الكتاب المقدس ، جاء فيه :

« لا تزال حكومة جنوب إفريقيا تعتمد على ما جاء فى سِفر التكوين - الذى يصف أحد أبناء حام (وهو كنعان) بأنه عبد العبيد - لتبرير سيطرتها على السود وإذلالهم » [٢] .

هذا .. وتذكر لنا التوراة أن قصة نوح أمام الله لم تزد عن أنه حدث أن «رأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم .

فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض وتأسف فى قلبه ، فقال الرب : أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته . الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء ، **لأنى حزنتُ أنى عملتهم** . وأما نوح فوجد نعمة فى عينى الرب ... فقال الله لنوح : نهاية كل بشر قد أتت أمامى لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم فها أنا مهلكهم . اصنع لنفسك فُلكاً » - (تكوين ٦ : ٥ - ١٤) .

*

لكن القرآن الكريم يُعَلّمنا أن نوحاً كان نبياً يُوحَى إليه .

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ .
(النساء : ١٦٣)

---

(١) LIFE, April 19, 1965 .

(٢) نقرأ النص الإنجليزى لهذه الفقرة الهامة كما يلى :

<<The government of South Africa, still relies on Genesis (Which deseribes a son of Ham as << a slave of slaves >> to justify its subordination of Negroes >>

وكان نوح رسولاً يدعو إلى التوحيد ، ويُحَذِّر من أهوال اليوم الآخر :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِه فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلأُ مِّنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّى رَسُولٌ مِّنْ رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّى وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف : ٥٩ - ٦٢) .

وكان نوح فطناً كيساً استخدم فى دعوته كل لباقة وديبلوماسية تعين على ترويض ذوى الطبائع الجامدة والقلوب المتحجرة . وفى تقرير منه يبين خطته فى مختلف مراحل الدعوة نقرأ قول الحق :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلاً وَنَهَاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِى إِلاَّ فِرَاراً * وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُواْ أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَاسْتَكْبَرُواْ اسْتِكْبَاراً * ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً * ثُمَّ إِنِّى أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ أَنْهَاراً * مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً * أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتاً * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطاً * لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً ﴾ (نوح : ٥ - ٢٠) .

وقد رأى عِلِّيَّةُ القوم أن استجابة المستضعَفين لدعوة نوح تعتبر سبباً كافياً لصدهم عنها :

﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ الرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ (هود : ٢٧) .

لقد كان الشرك وتعدد الآلهة سائداً فى عهد نوح وكانت له كهنة ومرتزقة ودجالون ، فقام هؤلاء يصرفون الناس عن دعوته : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَاتَّبَعُواْ مَنْ لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً * وَمَكَرُواْ مَكْراً كُبَّاراً * وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ﴾ . (نوح : ٢١ - ٢٣) .

وحين بلغت دعوة نوح غايتها واستنفدت كل وسائل الإقناع ، لم يبق لقومه خيار فيما ينتظرهم من عقاب : ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ * وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِى فِى الَّذِينَ ظَلَمُواْ ، إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ .

(هود : ٣٦ - ٣٧)

إن هذا يتفق وعدل الله فى خلقه ، ألاَّ يهلك نفساً لم يأتها نذير : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِى أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ، وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى الْقُرَىٰ إِلَا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ (القصص : ٥٩) .

لقد عاش نوح يجاهد فى سبيل الله مئات السنين ، إلا أن حصيلة ذلك كله كانت عدداً ضئيلاً من المؤمنين : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (هود : ٤٠) .

ولقد استحق بجهاده الشاق وصبره الجميل ما أُسبِغَ عليه من كرامة ونعماء ، ويكفى أن يقول الله فيه : ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الصافات : ٧٥ - ٨١) .

﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً ﴾ (الإسراء : ٣) .

هكذا نرى نوح فى القرآن العظيم : نبى عظيم ورسول ذو دعوة واسعة .

من أجل ذلك كان إماماً يقتدى به الأنبياء والمرسلون علاوة على مَن دونهم من الناس ، وكان أول أولى العزم الذين قيل فى شأنهم لخاتم الأنبياء والمرسلين : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (الأحقاف : ٣٥) .

* * *

إبراهيم

هو النبى الكريم أبو الأنبياء وأول حلقة فى سلسلة النبوّة الإبراهيمية الطاهرة، طار ذكره فى العالَمين وصار يمثل الميراث المشترك بين أبنائه فى عقيدة التوحيد من يهود ومسيحيين ومسلمين .

ويأتى أول ذكر لإبراهيم فى التوراة عند الحديث عن مولده وإخوة له من أبيه تارح الذى بدأ إنجابهم على الكبر وعمره آنذاك سبعون عاماً .

لقد كان تارح يعيش مع قبيلته فى موطنهم الأصلى بمدينة أور بالعراق القديم - وإذا به يقرر فجأة الذهاب إلى أرض كنعان (فلسطين) فيرتحل إليها عبر طريق طويل ماراً بحران - مدينة القوافل - التى تقع حالياً بتركيا قرب الحدود السورية ، وهناك يموت تارح .

وفى حران تلقى إبراهيم أمراً إلهياً بالذهاب إلى أرض كنعان « وكان إبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران . فأخذ إبرام سارای امرأته ولوطاً ابن أخيه وكل مقتنياتهما التى اقتنيا والنفوس التى امتلكا فى حاران ، وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان » (تكوين ١٢ : ٥) .

لقد صمتت التوراة عن حياة إبراهيم السابقة وجهاده ، فلم يبدأ ظهوره على مسرح الأحداث فيها إلا بعد أن شاخ وبلغ من العمر خمسة وسبعين عاماً .

ثم جاء القرآن الكريم يقص علينا سيرة إبراهيم منذ اشتد عوده ، ويركز على جهاده الذى بدأه مبكراً .

فلقد نشأ إبراهيم فى بيئة وثنية لم تتفق عقائدها وتقاليدها مع فطرته السليمة ولذلك بدأ يتفكر فى خلق السموات والأرض . وكان أن هداه اللّه إلى الدين الحق ، **فبدأ رسالته بالدعوة إلى التوحيد وهو لا يزال فتى في مطلع شبابه ، وفى هذا يقول الحق :**

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *

قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ *

قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ *

قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ *

قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ *

قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ *

قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء : ٥١ - ٧١) .

لقد كان السبب الرئيسى الذى من أجله ذهب إبراهيم من العراق إلى فلسطين ، هو الهجرة من أرض الوثنية والقهر إلى أرض تحفظ عليه دينه ونفسه .

﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ، إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

(العنكبوت : ٢٦)

*

وبعد أن استقر إبراهيم بفلسطين « قالت سارای لإبرام هو ذا الرب قد أمسكنى عن الولادة ، ادخل على جاريتى .. فأخذت سارای .. هاجر المصرية من بعد عشر سنين لإقامة إبرام فى أرض كنعان وأعطتها لإبرام .. زوجة له ، فدخل على هاجر فحبلت .. فولدت هاجر لإبرام إبناً .. إسماعيل . كان إبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل » (تكوين ١٦) .

وتتفق الكتب المقدسة على أن إبراهيم تعرَّض بعد ذلك لامتحان إلٰهى صعب ، هَمَّ فيه أن يذبح ابنه وحيده الذى رُزِقَ به على الكِبَرِ استجابة لوحى تعرَّض له ، لكن رحمة اللّٰه تداركت الوالد الشيخ الفانى وابنه الوليد الصابر « فناداه ملاك الرب من السماء ..

فقال : لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً ، لأنى الآن علمت أنك خائف اللّٰه فلم تمسك ابنك وحيدك عنى » (تكوين ٢٢ : ١١ - ١٢) .

ولقد بيَّنا فى موضع سابق [١] بما لا يدع مجالاً للشك أن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحق على عكس ما تقول به المصادر الإسرائيلية .

*

ثم كان عهد اللّٰه لإبراهيم لما قارب عمره مائة عام ..

إذ « لما كان إبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لإبرام وقال له :

أنا اللّٰه القدير . سر أمامى وكن كاملاً ، فأجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيراً جداً ..

« نادى ملاك اللّٰه هاجر من السماء وقال لها : لا تخافى لأن اللّٰه قد سمع لصوت الغلام قومى احملى الغلام وشدى يدك به لأنى سأجعله أمة عظيمة .

وكان اللّٰه مع الغلام فكبر وسكن فى البرية وكان ينمو رامى قوس .. وأخذت له أمه زوجة من مصر » (تكوين ٢١ : ١٧ - ٢١) .

---

(١) راجع كتاب « فلسطين بين الحقائق والأباطيل » للمؤلف - ص ٤٤ - ٥١ .

« هؤلاء هم بنو إسماعيل .. إثنا عشر رئيساً حسب قبائلهم . وهذه سنو حياة إسماعيل مئة وسبع وثلاثين سنة ، وأسلم روحه ومات وانضم إلى قومه . وسكنوا من حويلة إلى شور التى أمام مصر حينما تجىء نحو آشور » .

(تكوين ٢٥ : ١٦ - ١٨)

ويذكر التلمود أن إبراهيم كان دائم التردد على ابنه إسماعيل فى موطنه البعيد بالصحراء . فقد زاره مرة وكانت له زوجة قابلت حماها بجفاء فطلّقها إسماعيل . ولما زاره أبوه إبراهيم مرة أخرى بعد ثلاث سنوات كانت زوجته الثانية كريمة مع أبيه ، فَسُرَّ بها إسماعيل واصطحبها لزيارة والده بفلسطين [1].

*

لقد كان لإبراهيم فى الجزيرة العربية نشاط روحى عظيم ، بدأه مبكراً حين ارتحل إليها بابنه إسماعيل وأمه هاجر ، وأنزلهما مهبط الأمن والسكينة . هنالك دعا الله لأهله بالخير واستودعهم مَن لا تضيع عنده وديعة ، ثم تركهم ورحل إلى حين .

وكان دعاء إبراهيم : ﴿ رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (إبراهيم : ٣٧) .

وما إن اشتد ساعد إسماعيل حتى كان له مع أبيه عمل خالد لا تزال تذكره الملايين الحاشدة من البشر عبر عشرات القرون . فنحن نعلم ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران : ٩٦) . ثم ما لَبث أن تعرَّض هذا البيت العتيق لعاديات الزمن وبغى الأهل والخُلطاء ، فتصدع البناء وتدنس المكان بما صنعته يد الإنسان من إفك وأضاليل . ثم كانت رحمة الله بالإنسانية حين تجدد البيت بناءً وشعائر على يد إبراهيم وابنه إسماعيل وفى هذا يقول الحق :

---

(١) المرجع السابق - ص ٤٧

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (الحج : ٢٦ - ٢٧) .

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *

وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ، وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة : ١٢٧ - ١٣١) .

* *

هذا هو إبراهيم ، الأب الروحى للمؤمنين بالله من اليهود والمسيحيين والمسلمين وكلهم يرجو السلامة فى دينه ونفسه كما سلم وكمل إبراهيم أمام الله « القدير » رب العالمين . فدين إبراهيم هو الدين الحق ، على هذا يتفق أصحاب هذه العقائد وكفى به جوهراً يجتمعون عليه رغم ما هم فيه بعد ذلك من خلاف عجيب .

فلقد كان أول وحى لموسى : « أنا إله أبيك إله إبرهيم ..

هكذا تقول لبنى إسرائيل إله آبائكم ، إله إبراهيم وإله إسحٰق وإله يعقوب أرسلنى إليكم » (خروج ٣ : ٦ ، ١٥) .

وفى محاورة بين المسيح واليهود كان قوله لهم عن إبراهيم ذى الدين الحق :

« أفما قرأتم ما قيل لكم من قِبَلِ الله القائل أنا إله إبراهيم وإله إسحٰق وإله يعقوب .. فلما سمع الجمع بهتوا من تعليمه » (متى ٢٢ : ٣١ - ٣٣) .

و « قال لهم يسوع : لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم .

ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله . هذا لم يعمله إبراهيم . أنتم تعملون أعمال أبيكم .. أنتم من أب هو إبليس ، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا . ذاك كان قتّالاً للناس من البدء » . (يوحنا ٨ : ٣٩ - ٤٤)

وأخيراً ، بعد أن طال الأمد على قلوب قست ونست حقيقة دين إبراهيم ، جاء محمد ليجدد البناء ويدعو إلى الله على بصيرة ، فيقيم بالحق دين إبراهيم :

﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَانِى رَبِّى إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام : ١٦١) .

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (النحل : ١٢٣) .

﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِىُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ ، وَاللَّهُ وَلِىُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران : ٦٨) .

* * *